

## الانصاف والموضوعية في دراسة تفاسير الفرق الإسلامية

عند الدكتور محمد حسين الذهبي من خلال كتابه (التفسير والمفسرون)

Fairness and Objectivity in Studying the Interpretations of Islamic Sects by  
Dr. Muhammad Hussein Al-Dhahabi through his Book (Interpretation  
and Interpreters)



د. منصر عباس \*

جامعة الوادي

Meneceur-abbas@univ-eloued.dz

مخبر اسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

تاريخ الاستلام: 2025/02/22 تاريخ القبول 2025/05/05 تاريخ النشر 2025/06/03



**ملخص:** يتناول هذا البحث مسألة المآخذ المسجلة على تفاسير الفرق عند الشيخ محمد حسين الذهبي كواحد من أشد مفكري القرن العشرين مناقشة لأهل الفرق، والإشكال الذي يدور حوله البحث: ما يمثله كتاب التفسير والمفسرون من قيمة علمية في مناقشة أصحاب الفرق في التفسير، وما يمتاز به الشيخ الذهبي من نقد عميق لأهل الباطل منهم، فهل كان منصفاً مع بعضهم وما دائرة هذا القبول والاعتبار؟ والبحث يوقفنا على نماذج من الموضوعية، كان فيها الشيخ الذهبي منصفاً مع أبي عبد الرحمن السلمي والطبرسي ومدرسة الشيخ محمد عبده، فعلى الرغم من نقده لهؤلاء إلا أن الشيخ الذهبي وقف على محاسن عديدة وفضائل كثيرة شكلت منهجاً متوازناً في تقييم جهود أصحاب الاتجاهات والفرق في التفسير.

**الكلمات المفتاحية:** الذهبي؛ الانصاف؛ الموضوعية؛ التفسير؛ المفسرون.

\* المؤلف المراسل

**Abstract:** This research deals with the issue of the objections recorded on the interpretations of the sects by Sheikh Muhammad Hussein Al-Dhahabi as one of the most intense thinkers of the twentieth century in discussing the people of the sects. The problem that the research revolves around: What the book of interpretation and the interpreters represent in terms of scientific value in discussing the people of the sects in interpretation, and what Sheikh Al-Dhahabi is distinguished by in terms of deep criticism of the people of falsehood among them, so was he fair with some of them and what is the scope of this acceptance and consideration?

The research brings us to examples of objectivity, in which Sheikh Al-Dhahabi was fair to Abu Abdul Rahman Al-Salami, Al-Tabarsi, and the school of Sheikh Muhammad Abduh. Despite his criticism of these, Sheikh Al-Dhahabi stood on many merits and virtues that formed a balanced approach in evaluating the owners efforts of trends and sects in interpretation.

**key words** Al-Dhahabi; fairness; objectivity; interpretation; interpreters.

#### مقدمة:

لا يختلف اثنان في أحسن طرق التفسير، ولا اختلاف في المنابع الصافية التي يستمد منها معرفة معاني كلام الله تعالى، وبعد ظهور الفرق وانتشارها في آخر زمن التابعين فسّر القرآن الكريم على ما يوافق الأهواء والنحل، وعلى ما يمازج القناعات والمذاهب، فاختلف الناظرون في هذه التفاسير بين مضلل ناظم وبين موافق موال وبين متوسط سالك سبيل الموضوعية والإنصاف، ولما كان الدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله أول من حاول دراسة التفاسير عند الفرق في العصر الحديث من خلال ما سطره بقلمه الفياض في كتابه التفسير والمفسرون، وما يمثله هذا الكتاب من نقد علمي دقيق لأعلام التفسير عند الفرق المختلفة، أحببت أن أسلط الضوء على جوانب من الإنصاف والموضوعية في الحكم على تفاسير الفرق الإسلامية فكان عنوان البحث المقترح:

الانصاف والموضوعية في دراسة تفاسير الفرق الإسلامية عند الدكتور محمد حسين  
الذهبي من خلال كتابه (التفسير والمفسرون)

## إشكالية البحث:

والإشكال الذي يدور حوله الموضوع هو ما يشتهر به الشيخ حسين الذهبي من موقف حازم ونقد لاذع لاتجاهات التفسير المنحرفة مما صوّر الكتاب على أنه ردود على أصحاب الفرق في التفسير، فكان السؤال المطروح والإشكال الذي يلوح: كيف كان نقد الشيخ لهذه الفرق؟ وهل فيها جوانب إيجابية تقبل بإنصاف وموضوعية؟ وما دائرة ذلك القبول؟

فمن خلال النماذج المقترحة في الجزء التطبيقي يمكن الإجابة عن هذه التساؤلات.

## أهداف البحث:

والبحث يهدف إلى تحقيق جملة من الأهداف مجملتها في ما يلي:

- معرفة القدر الذي يستفاد من هذه التفاسير.
- الوقوف على جانب من الموضوعية في شخصية الإمام الذهبي الناقد.
- ترسيخ فكرة النقد العلمي البناء للفرق والمذاهب والاتجاهات.
- المساهمة في نشر ثقافة التعايش وأدب الاختلاف واحتواء الآخر.

## الخطة المقترحة:

مقدمة: فيها التعريف بالبحث: الدوافع، الإشكالية، الأهداف، المنهجية... الخ

المبحث الأول: شرح مفردات العنوان.

المطلب الأول: تعريف الانصاف والموضوعية.

المطلب الثاني: تعريف تفاسير الفرق.

المبحث الثاني: التعريف بالشيخ محمد حسين الذهبي وكتابه التفسير والمفسرون.

المطلب الأول: ترجمة موجزة للذهبي.

المطلب الثاني: وصف عام لكتاب التفسير والمفسرون.

المبحث الثالث: نماذج من موضوعية الشيخ الذهبي مع بعض تفاسير الفرق.

**المطلب الأول:** انصافه لأبي عبد الرحمن السلمي الصوفي.

**المطلب الثاني:** انصافه للإمام الطبرسي الشيعي.

**المطلب الثالث:** انصافه للمدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة في التفسير.

**الخاتمة:** فيها النتائج والتوصيات.

### **المبحث الأول: شرح مفردات العنوان.**

قبل الغوص في ثنايا البحث يحسن بنا التعريف بمصطلحات الدراسة فنقول مستعينين بالله:

**المطلب الأول: تعريف الانصاف والموضوعية.**

سنقوم في المطلب بتعريف لغوي واصطلاحي لكل من كلمتي الانصاف - الموضوعية.

**الفرع الأول: تعريف الانصاف.**

- لغة: قال ابن فارس: " النُونُ وَالصَّادُ وَالْفَاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى شَطْرِ الشَّيْءِ، وَالْآخَرُ عَلَى جِنْسٍ مِنَ الخِدْمَةِ وَالِاسْتِعْمَالِ. فَأَلَّوْلُ نِصْفُ الشَّيْءِ وَنَصِيفُهُ: شَطْرُهُ... وَالْإِنْصَافُ فِي الْمُعَامَلَةِ، كَأَنَّهُ الرِّضَا بِالنِّصْفِ "1. وقال في اللسان: " الإِنْصَافُ: إِعْطَاءُ الْحَقِّ "2. وفي القاموس: " الإِنْصَافُ: العَدْل "3. وجاء في المعجم المعاصر: " استَنْصَفَ الْمُتَّهَمُ الْقَاضِي: طَلَبَ مِنْهُ الْعَدْلَ وَالْإِنْصَافَ "4.

- اصطلاحاً: الإِنْصَافُ فِي اصطلاح الفكر المعاصر: هُوَ إِعْطَاءُ الْمَرْءِ مَا لَهُ وَأَخَذَ مَا عَلَيْهِ<sup>5</sup>. فالانصاف ضدّ المؤاخذه؛ لأنّ المؤاخذه تعني عدم قبول الخطأ وأخذ المرء بزلتة أما الانصاف فيمثل مظهراً من مظاهر الوسطية مع المخالف والاعتدال في تقبل الآخر وإقالة عثرته وتقبّل زلته وعدم مؤاخذته بهفوته.

**الفرع الثاني: تعريف الموضوعية:**

- لغة: لم ترد هذه الكلمة في المعاجم القديمة، وأما في المعاجم الحديثة فقد جاء في (معجم اللغة العربية المعاصرة) أنها: " مصدر صناعي من مَوْضوع ويعني: الحياديّة وعدم التحيز "6.

- اصطلاحاً: الموضوعية في الفلسفة: مذهب يرى أنّ المعرفة ترجع إلى حقيقة غير الذات المدركة، وعكسها الذاتيّة والألموضوعيّة: وهي تحيُّز شخصيّ تجاه فكرة ما أو نحوها فاتسمت نظرته إلى القضية بالألموضوعيّة<sup>7</sup>.

وفي اصطلاح القضاء: أن يكون الحكم خالٍ من أيّ تحيُّز خاص<sup>8</sup>.

وفي اصطلاح الفكر المعاصر: هي حقائق علميّة مطلقة مستقلّة عن قائلها بعيدة عن التآثر بأهوائهم وميولهم ومصالحهم<sup>9</sup>.

وفي اصطلاح مناهج البحث: تعني: " الالتزام بالنص واستنتاجه وعدم فرض رأي مسبق عليه أو الدخول إلى بحث الموضوع بمقررات سابقة، وإنما يترك الدليل والنص هو الذي يتحدث فلا يُقدم عليه قياساً أو يؤوله تأويلاً خارجاً عن دلالة النص وسياقه "10.

### المطلب الثاني: تعريف تفاسير الفرق:

نقوم بتفكيك هذا المركب الإضائي إلى كلمتي: تفاسير - الفرق.

### الفرع الأول: مفهوم التفاسير:

- لغة: جمع تكسير واحده تفسير، والتفسير: البيان والتوضيح، مشتق من الجذر الثلاثي (فسر) قال في الصحاح: " الفَسْرُ: البيانُ. وقد فَسَّرْتُ الشيءَ أَفْسِرُهُ بالكسر فسراً. والتفسير مثله "11.

- اصطلاحاً: أطلق هذا الاسم بعد هذا الاستعمال اللغوي الأصيل على الكتب المؤلفة لبيان معاني القرآن فصار جمعه مصروفاً لجهود جماعة أو طائفة أو فرقة في تفسير كلام الله تعالى فيقال: تفاسير أهل السنة وتفاسير الشيعة وتفاسير المعتزلة... الخ.

### الفرع الثاني: مفهوم الفرق:

- لغة: مكونة من جذع ثلاثي الفاء والراء والقاف، قال ابن فارس: " أَلْفَاءُ وَالرَّاءُ وَالْقَافُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يُدُلُّ عَلَى تَمْيِيزٍ وَتَرْزِيلٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ. مِنْ ذَلِكَ الْفَرْقُ: فَرْقُ الشَّعْرِ. يُقَالُ: فَرَّقْتُهُ فَرْقًا." <sup>12</sup>. فمرجع اللفظ بكسر الفاء وفتح الراء يعود إلى التمايز والاختلاف والافتراق.

- اصطلاحاً: في عرف علم العقائد وأصول الدين تطلق الفرق ويراد بها الطوائف الإسلامية الحادثة بعد زمن النبوة وشرطاً من زمن الخلافة الراشدة مدة خلافة أبي بكر وعمر وست سنوات من خلافة عثمان رضي الله عنهم أجمعين<sup>13</sup>، وقال الشهرستاني: "...الفرق الإسلامية أربع: القدرية - الصفاتية - الخوارج - الشيعة، ثم يتركب بعضها مع بعض ويتشعب عن كل فرقة أصناف فتصل إلى ثلاث وسبعين فرقة" <sup>14</sup>.

والمراد بالفرق الإسلامية: الطوائف التي خاضت في أصول الإسلام، وأحدثت خلافاً في مبانيه العظام، مثل باب الصفات والقدر والنبوة والعدل... الخ، ولا يدخل في مسمى الفرق الخلاف الحاصل في الفروع بين أصحاب المذاهب الفقهية والمدارس الأصولية.

نرجع لعنوان البحث فهو منصب حول مظاهر الانصاف والموضوعية في الحكم على تفاسير أصحاب الفرق المنسوبة للإسلام كالشيعة والمعتزلة وغلاة التصوف، فإذا كان مفسروا هذه الفرق قد حُكِمَ على تفاسيرهم حكماً يجعلها خارجة عن دائرة القبول والاعتبار كونها كتبت موافقة للهوى والمذهب، فهل يمكن قبول شيء منها خارجة عن دائرة المآخذ والعيوب المسجلة عنها، هذا ما سنحاول الوقوف عليه من خلال نماذج من آراء الدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله تعالى حول تراث هؤلاء الأعلام.

وفيما يلي تعريف موجز بالشيخ الذهبي وكتابه التفسير والمفسرون:

**المبحث الثاني: التعريف بالشيخ محمد حسين الذهبي وكتابه التفسير والمفسرون.**

وفي هذا المبحث سنعرف بإيجاز بالمؤلف والمؤلف، لذا تم تقسيم المبحث إلى مطلبين:

**المطلب الأول: ترجمة موجزة للشيخ الذهبي.**

نظرا لقلّة المصادر التي ترجمت للشيخ الذهبي، فقد أُخِذَتْ هذه الترجمة الموجزة من ترجمة نجله مصطفى والتي تصدرت طبعة دار الحديث لكتاب (التفسير والمفسرون) فكانت هذه الترجمة من الابن لوالده هي العمدة في كل ما أوردناه في هذه الأسطر، وما سطرناه في هذه الفقرات<sup>15</sup> مع تغيير شبه كلي للأسلوب والعبارات، حتى لا تقع في فخ السرقات والاقتباسات.

### الفرع الأول: الاسم والمولد والنشأة.

هو محمد السيد حسين الذهبي، والذهبي شهرته وكنيته هكذا يعرف صاحب الترجمة، كانت ولادته سنة 1915م بقرية مطويس المحاذية لشاطئ النيل الشرقي، وهي بلدة من أعمال محافظة (كفر الشيخ) تربي الشيخ في أسرة تعمل في الزراعة والتجارة، توفي والده وهو في الطفولة الأولى فرباه شقيقه الأكبر حسين خير تربية فحفظ القرآن الكريم في سن مبكر وتلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه، فتدرج في المراحل التعليمية إلى أن تَوَجَّ بِشهادة الثانوية العامة بمعهد دسوق الديني، ثم انتقل إلى الأزهر الشريف منارة العلم والفكر، فنال الشهادة العالية من كلية الشريعة سنة 1936م، ثم شهادة العالمية من درجة أستاذ في علوم القرآن سنة 1947م.

### الفرع الثاني: بعض شيوخه وتلامذته.

في أثناء دراسته في الأزهر تتلمذ الشيخ الذهبي على جملة من العلماء منهم محمد مصطفى المراغي المفسر المعروف صاحب التفسير، ومحمد زاهر الكوثري ومحمد حبيب الشنقيطي ومحمد الخضر حسين ومأمون الشناوي وغيرهم كثير في شتى فنون العلم والمعارف الدينية والعلوم الشرعية المختلفة، كما تخرّج على يده ثلة من الطلبة والباحثين المبرزين في مرحلتي الماجستير والدكتوراه بين إشراف ومناقشة.

### الفرع الثالث: حياته العلمية ومؤلفاته.

كانت حياته العلمية حافلة بالنشاط تدريسا كان أم تأليفا، انتدابا أم وظيفيا، ولما كان الأزهر في العلم والدعوة والفكر أشهر من أن يعرف في العالم العربي والإسلامي وكان المجتمع العربي قويا في تبادل الخبرات والتجارب العلمية، أرسل الشيخ منتدبا للتدريس في أكثر من بعثة فأرسل إلى الطائف (من 1948م-1951م) ثم إلى المدينة المنورة عام 1951م فألتقى بالعلامة عبد العزيز بن باز لمدة سنة بالجامعة الإسلامية، ثم أرسل إلى العراق للتدريس بكلتي الحقوق والشريعة (1961م-1963م) ثم إلى الكويت (1968م-1971م) هذا فضلا عن نشاطاته بالأزهر الشريف حتى كان الشيخ أبو زهرة يلقبه بإمام المفسرين اعترافا منه بعلم الشيخ الذهبي وفضله على الأزهر ومصر قاطبة بل والعالم العربي والإسلامي جميعا.

تقلد عدة مناصب إدارية منها عميد كلية الشريعة وأصول الدين في سنة 1973م ثم وزيرا للأوقاف سنة 1975م بموجب تعيين رئاسي في عهد الرئيس الراحل أنور السادات، ولم يمكث طويلا في أروقة الوزارة لأنه رجل علم ودعوة لا رجل سياسة وإمارة فأعفي منها سنة 1976م، حيث آثر العودة إلى قاعات العلم والدرس بالأزهر الشريف.

له عدة مؤلفات منها (التفسير والمفسرون) الذي نحن بصدد دراسة آرائه النقدية حول مفسري الفرق، وله أيضا: (الإسرائيليات في التفسير والحديث) و(الاتجاهات المنحرفة في التفسير) و(الأحوال الشخصية بين أهل السنة والجمهورية) و (مقدمة في علوم القرآن) وغيرها من المؤلفات والمذكرات الكثيرة.

**الفرع الرابع: وفاته وثناء أهل العلم عليه.**

نال شرف مرتبة الشهداء رجاء من الله أن يبلغه إياها يوم 3 جويلية 1977م، بعدما عثر عليه مقتولا، وكان قد اختطف قبل أيام من طرف جماعة مجهولة أرادت الانتقام منه نتيجة ثورته الفكرية على المذاهب الباطلة وصدعه بالحق في وجه أهل الزيغ والضلال

فقدم نفسه قربانا لله تعالى مقابل جهاده وعلمه ودعوته وإصلاحه فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وجعل علمه المبتوث في مؤلفاته صدقة جارية له.

قال عنه تلميذه رجب البيومي: " حزنْتُ جدا لمصرعه الظالم، فقد كان نبيل الخلق غزير المادة طاهر الطوية، يؤدي واجبه العلمي بين طلابه أحسن أداء، فهو يفسح صدره لكل نقاش، ويتقبل النقد مهما قسا، ويعبر عن وجهة نظره في هدوء غير متكلف... "16.

فلا ضير أن يشتهر الشيخ الذهبي بهذه السماحة وهذه النفس المنصفة وهذا القلب الذي يجمع بين الصلابة في قول الحق واللين والموضوعية والانصاف مع من أظهر الخير وقد كان مشتهرا بالتبحر في أصول الفرق الكلامية وآرائهم العقدية حتى صارت مؤلفاته مجالا خصبا لبحث هذه الجزئيات التي نحن بصدد توضيحها في هذا البحث.

### المطلب الثاني: وصف عام لكتاب التفسير والمفسرون.

ما يعيننا من مؤلفات الدكتور محمد حسين الذهبي كتابه (التفسير والمفسرون) الذي نال به شهادة العالمية كأستاذ في علوم القرآن سنة 1947م ونال به درجة الامتياز والفخر الأعلى من الأزهر الشريف، فقد كان هذا الكتاب بحق باكورة دراسة (مناهج المفسرين) في العصر الحديث، والتي صارت فيما بعد مادة تدرس في الكليات الشرعية، وعلما قائما بذاته يؤصل في الجامعات الإسلامية.

إن هذا الكتاب يرصد حركة التأليف في التفسير، ويدرس تاريخ علم الوحي منذ زمن النبوة إلى عصر المؤلف رحمه الله، ويشكل تصورا حيا لاتجاهات التفسير عبر القرون المعاقبة، ويبيّن نحل المفسرين وكيف أثرت مذاهبهم وخلفياتهم في نظراتهم لمعاني القرآن، وكيف تمايزت أساليب المفسرين وطرائقهم في استنباط هدايات الوحي، يغذي ذلك موضوعية وانصافا قلّ أن يوجد في هكذا دراسات نقدية، وهذا الذي نحن بصدد توضيحه من تلك المظاهر التي رسمت منهج الموضوعية والانصاف في مواقف الذهبي من بعض المفسرين الذين رأهم بعين الانصاف ونظر إلى موروثهم نظرة موضوعية.

ولقد قدّم الشيخ الذهبي لكتابه بمقدمة متوسطة بين الطول والقصر<sup>17</sup>، ذكر أهداف تأليفه ودوافعه، وخطته التي سار عليها واهتماماته، وفيما يلي بيان ذلك بشيء من الاختصار الذي يقتضيه المقام:

### الفرع الأول: أهداف تأليف الكتاب.

حدد الشيخ الذهبي الهدف من تأليفه لكتاب (التفسير والمفسرون) فأشار إلى اختلاف مشارب المفسرين في التفسير بين محسن للمقصد والوسيلة، وبين مخطئ فيهما، وبين مصيب في واحد دون الأخرى، فرأى من الواجب الشرعي والدعوي تبين ذلك للمسلمين حتى يهتدوا لوجه الصواب في ذلك، وجعل من مقاصد تأليفه لهذا الكتاب تقييم جهود المفسرين وتقييمها حتى لا ينخدع الناس بأخطائها وباطلها، فقدم بذلك منتوجاً علمياً فريداً لم يسبق إليه وزين المكتبة الإسلامية بنتاج فكري لم يؤلف مثله إلا إشارات في متفرقات لا تعد أن تكون إرهابات.

### الفرع الثاني: دوافع التأليف.

على أن الأهداف والدوافع تتداخل فيصعب التفريق بينهما؛ إلا أنه في تقديم الشيخ الذهبي لكتابه يمكن التفريق بينهما بقراءة عميقة تحليلية لمضامين مقدمته نلاحظ دوافعه جلية وأسباب تأليفه للكتاب غير خفية، فاعتبر أول دافع اندساس أهل البدع والخراطهم في المنظومة الفكرية للأمة حتى صار لهم إنتاج علمي وتأثر الناس بفكرهم فمن باب النصح والإصلاح ضرورة النظر في هذا التراث الفكري للاستفادة منه خير استفادة، فإما يحمد فيشكر، أو يذم فينكر.

ودافع ثانٍ متمثل في خلو المكتبة الإسلامية من تأليف يدرس نشأة التفسير وتطوره ومناهج المفسرين وطرائقهم، فأحبّ الشيخ أن يقدم هذه الخدمة للنخبة من الباحثين، ويجعل كتابه في تناول العامة فتعم فائدته وتكثر بركته ومنفعته، فما إن طبع هذا الكتاب في منتصف القرن العشرين حتى صار في الآفاق وانتشر كأشعة الشمس فانكب الناس

على قراءته والافادة منه. ودافع ثالث يتمثل في النظر بعين الانصاف لهذا التراث التفسيري الضخم وهذا المنتوج التأويلي الرّخم فيستبين الناس وجه الحق والصواب تجاه هؤلاء الأعلام المتقدمين. فيؤخذ عليهم الزلل والخطأ، وينصفون بصوابهم واجتهادهم فتكون الأمة على بيّنة من أمرها في جهودهم.

### الفرع الثالث: تقسيم الكتاب .

قسم الدكتور حسين الذهبي كتابه إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة، فجعل المقدمة تمهيدا لفكرة بحثه ودوافعه وأهدافه وخطته... الخ، وجعل الباب الأول للكلام عن التفسير في مرحلة النبوة والصحابة رضوان الله عليهم، وجعل الباب الثاني للحديث عن التفسير في مرحلة التابعين وبيان منهج التابعين في التفسير، وجعل الباب الثالث لجزء التفسير في عهد التدوين وبين طرائق المفسرين ومناهجهم والتفسير بالرأي المحمود والتفسير بالرأي المذموم... الخ وجعل الخاتمة للكلام عن التفسير في العصر الحديث يعني من أواخر القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين (زمن كتابة هذا الكتاب).

### الفرع الرابع: اهتمامات الكتاب.

يندرج هذا الكتاب محل الدراسة في خانة الدراسات القرآنية المتخصصة في مناهج المفسرين، ويعتبر كتاب (التفسير والمفسرون) أول كتاب مستقل يتناول تاريخ التفسير من زمن النبوة إلى العصر الحديث، حيث جعل الدكتور الذهبي من أهداف عمله تقييم التفاسير وذكر مميزاتها وبيان خلفيتها ومحاسنها ومآخذها متبعا في ذلك ميزان الانصاف وعدم التحامل والتسرع في إصدار الأحكام الجزافية دون بيّنة أو دليل ملموس، الأمر الذي جعل هذا الكتاب مصدرا لكل من كتب في علم مناهج المفسرين لما استقل هذا العلم عن التفسير في الجامعات والكليات الإسلامية فكتب جملة من الأكاديميين والدكاترة لطلبتهم محاضرات في شكل تقييدات، فكل من كتب في هذا الجانب فهو عيال على الشيخ الذهبي رحمه الله، فكتب فضل حسن عباس كتاب (التفسير أساسيات واتجاهات)

وكتب صلاح عبد الفتاح الخالدي (تعريف الدارسين بمناهج المفسرين) وكتب الدكتور فهد الرومي (اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر) وللدكتور غانم قدور العراقي كتاب في هذا المقام، وغيرهم كثير من طلبة الدراسات العليا الذين كتبوا في مناهج مفسرين معينين كلهم كانوا عيالاً على مجهود الدكتور حسين الذهبي.

ولما كان هذا الكتاب بهذه القيمة العلمية والفكرية والمصدرية لمن بعده في دراسة مناهج المفسرين، أحببنا أن نقف على جوانب مشرقة من الانصاف مع المخالفين، وعلى صفحات من الموضوعية مع بعض أصحاب الفرق في تعاملهم مع نصوص الوحي فكان هذا الجزء التطبيقي الذي نحن بصدد سبك أفكاره وتلويك قلبه الذي سنوضحه في المبحث الموالي:

### المبحث الثالث: نماذج من موضوعية الشيخ الذهبي مع بعض تفاسير الفرق.

على الرغم من اشتهار الشيخ محمد حسين الذهبي بكثرة الردود والمناقشات الحادة مع أصحاب الفرق حين يخرجون عن إجماع الأمة في فهم نصوص الوحي واستنطاق تراكيبه؛ إلا أن المتفحص لكتابه (التفسير والمفسرون) يرى جوانب من الموضوعية وزوايا من الانصاف، وهذه النماذج باكورة فكرة بحثية مما لا شك تحتاج إلى استقراء أعمق وأدق في بحوث أوسع، وهذه محاولة للوقوف على صفحات الحياد والعدل العلمي عند واحد من أشد علماء العصر الحديث شدة وصلابة في وجه خصومه، والأمثلة المرفقة في المطالب الموالية توضح لنا ذلك:

### المطلب الأول: انصافه لأبي عبد الرحمن السلمي الصوفي.

لقد انتقد الشيخ الذهبي أبا عبد الرحمن السلمي حين يخرج إلى إشارات بعيدة عن ظاهر القرآن، وذلك حين تكون أشبه بالغاز وتعمية عن روح الوحي وهدايته، ولكنه مع ذلك وقف منه موقف الانصاف ونصره حين انتقده فطاحلة علماء الإسلام من المتأخرين، وفيما يلي تحليل ذلك:

## الفرع الأول: انتصاف الذهبي للسلمي من طعن الواحدي<sup>18</sup> عليه.

وذلك حين طعن أبو الحسن الواحدي في تفسير السلمي فقال: "صَنَّفَ أبو عبد الرحمن السلمي (حقائق التفسير) فإن كان اعتقد أن ذلك تفسيراً فقد كفر"<sup>19</sup>. فرد الشيخ الذهبي الاعتبار لأبي عبد الرحمن فقال: "وأما قول الواحدي: إنه لو اعتقد أن ما في الحقائق تفسير لكفر باعتقاده هذا، فنقول فيه: إن أبا عبد الرحمن لم يعتقد أن هذا تفسيراً؛ وإنما قال: إنه إشارات تخفى وتدق إلا على أربابها، كما صرَّح بذلك في مقدمة حقائق التفسير"<sup>20</sup>.

## الفرع الثاني: انتصاف الشيخ الذهبي للسلمي من انتقاص الحافظ الذهبي<sup>21</sup> منه.

وذلك حين قال الذهبي عن تفسير السلمي وهو بصدد الترجمة له: "... وله كتاب يقال له حقائق التفسير، وليته لم يُصنّفه. فإنه تحريف وقرمطة، ودونك الكتاب فسترى العجب"<sup>22</sup>، فقال الشيخ الذهبي منتصفاً: "وما قاله الذهبي من أن ما في الحقائق تحريف وقرمطة - يريد أنه كتفسير القرامطة من الباطنية - فهذا غير صحيح؛ لأن الرجل يقر الظواهر على ظواهرها، والقرامطة بخلاف ذلك"<sup>23</sup>.

## الفرع الثالث: انتصاف الشيخ الذهبي للسلمي من رأي السيوطي<sup>24</sup> فيه.

وذلك حين ترجم السيوطي للسلمي في طبقات المفسرين<sup>25</sup>، وجعله ضمن تفاسير المبتدعة كون تفسيره غير محمود فقال الذهبي منتصفاً: "هذا.. وإنَّ عَدَّ السيوطي السلمي ضمن المفسِّرين من أهل البدع غلو منه وإجحاف"<sup>26</sup>.

والشيخ الذهبي بهذا المنحنى المعتدل في موقفه من تفسير السلمي يوافق رأي الخطيب البغدادي والحافظ تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية، حيث نقل السبكي طعن القطان في السلمي وانتصاف الخطيب له وموافقته على ذلك فقال: "قَالَ الْخَطِيبُ: قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ النَّيْسَابُورِيِّ الْقَطَّانُ: كَانَ السَّلْمِيُّ غَيْرَ ثِقَّةٍ وَكَانَ يَضَعُ لِلصُّوفِيَّةِ. قَالَ الْخَطِيبُ: قَدَّرَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عِنْدَ أَهْلِ بَلَدِهِ جَلِيلًا وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ مَحْمُودًا صَاحِبًا

حَدِيث. قلت (السبكي): قَوْلُ الْحُطَيْبِ فِيهِ هُوَ الصَّحِيحُ وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ثِقَّةٌ وَلَا عِبْرَةَ بِهَذَا الْكَلَامِ فِيهِ "27.

### المطلب الثاني: انصافه للإمام الطبرسي<sup>28</sup> الشيعي.

على الرغم من انتقاد الشيخ الذهبي للطبرسي واعتباره من أعلام الشيعة في التفسير، وناقشه في أمثلة عديدة أوردها من كتابه شاهدة عليه في تشييعه؛ إلا أنه صنف صاحب (مجمع البيان) في خانة الاعتدال وهذا إنصاف منه له، ويتجلى هذا الانصاف في العناصر الآتية:

#### الفرع الأول: ذكره لإجابيات تفسيره:

عد الشيخ الذهبي من محاسن هذا التفسير كونه موسوعة في علوم القرآن واللغة؛ لأن صاحبه من أجل علماء عصره في التفسير واللغة؛ ومن الاجابيات الشاهدة على محاسنه إيراده لمقدمات متعلقة بعلوم القرآن<sup>29</sup>. حيث قال الطبرسي في مقدمة تفسيره: " وقبل أن نشرع في تفسير السور والآيات، فنحن نُصَدِّرُ الكتاب بذكر مقدمات لا بد من معرفتها، لمن أراد الخوض في علومه تجمعها فنون سبعة: الفن الأول منها: في أعداد آي القرآن والفائدة من معرفتها. والفن الثاني: في ذكر أسامي القراء المشهورين في الأمصار ورواتهم. والفن الثالث: في ذكر التفسير والتأويل والمعنى، والتوفيق بين ما ورد من الآيات والآثار من النهي عن التفسير بالرأي وإباحته. والفن الرابع: في ذكر أسامي القرآن ومعانيها. والفن الخامس: في أشياء من علوم القرآن يحال في شرحها وبسط الكلام فيها على المواضع المختصة بها والكتب المؤلفة فيها كإعجاز القرآن، والكلام عن زيادة القرآن ونقصانه... والفن السادس: في ذكر بعض ما جاء من الأخبار المشهورة في فضل القرآن وأهله. والفن السابع: في ذكر ما يُستحب للقارئ من تحسين اللفظ وتزيين الصوت بقراءة القرآن "30.

#### الفرع الثاني: اعترافه بالقيمة العلمية لتفسير الطبرسي.

قام الدكتور حسين الذهبي بتقييم هذا التفسير وإنصاف صاحبه فقال: " والحق أن تفسير الطبرسي - بصرف النظر عما فيه من نزعات تشيعية وآراء اعتزالية - كتاب عظيم في بابه، يدل على تبحر صاحبه في فنون مختلفة من العلم والمعرفة. والكتاب يجري على الطريقة التي أوضحها لنا صاحبه، في تناسق تام وترتيب جميل، وهو يجيد في كل ناحية من النواحي التي يتكلم عنها، فإذا تكلم عن القراءات ووجوهها أجاد، وإذا تكلم عن المعاني اللغوية للمفردات أجاد، وإذا تكلم عن وجوه الإعراب أجاد، وإذا شرح المعنى الإجمالي أوضح المراد، وإذا تكلم عن أسباب النزول وشرح القصص استوفى الأقوال وأفاض، وإذا تكلم عن الأحكام تعرّض لمذاهب الفقهاء، وجهر بمذهبه ونصره إن كانت هناك مخالفة منه للفقهاء، وإذا ربط بين الآيات آخى بين الجمل، وأوضح لنا عن حُسن السبك وجمال النظم، وإذا عرض لمشكلات القرآن أذهب الإشكال وأراح البال. وهو ينقل أقوال من تقدّمه من المفسّرين معزوة لأصحابها، ويرجح ويوجه ما يختار منها"<sup>31</sup>.

### الفرع الثالث: تصنيفه في خانة معتدلي الشيعة في التفسير.

حيث قال الذهبي معطياً رأيه حول هذا المفسر: " والطبرسي معتدل في تشيعه غير مغال فيه كغيره من متطرفي الإمامية الإثنا عشرية، ولقد قرأنا في تفسيره فلم نلمس عليه تعصباً كبيراً، ولم نأخذ عليه أنه كفر أحداً من الصحابة أو طعن فيهم بما يُذهب بعدالتهم ودينهم. كما أنه لم يغال في شأن علي بما يجعله في مرتبة الإله أو مصاف الأنبياء... أفلا ترى معي أن هذا التفسير يجمع بين حسن الترتيب، وجمال التهذيب، ودقة التعليل، وقوة الحجّة؟. أظن أنك معي في هذا، وأظن أنك معي أيضاً في أن الطبرسي وإن دافع عن عقيدته ونافح عنها لم يغلو غلو غيره ولم يبلغ به الأمر إلى الدرجة التي كان عليها المولى الكازراني<sup>32</sup> وأمثاله من غلاة الإمامية"<sup>33</sup>.

### المطلب الثالث: انصافه للمدرسة العقلية الاجتماعية الحديثة في التفسير.

تنسب هذه المدرسة للإمام الأكبر محمد عبده وتلميذه رشيد رضا ومصطفى المراغي، وتوصف بالعقلية؛ لأنها أعملت العقل والفكر لاستلهاام دروس القرآن وهداياته، وتوصف بالاجتماعية كونها اهتمت بواقع المجتمعات المسلمة وتنزيل أحكام القرآن على البيئة المعاصرة.

والشيخ الذهبي على الرغم من المآخذ التي سجلها على رواد هذه المدرسة إلا أنه أنصفها وعدل في الحكم معها، وإليك مظاهر هذه الموضوعية:

**الفرع الأول: وصف المدرسة بالتجديد في التفسير<sup>34</sup>.**

وتكلم الدكتور الذهبي عن فضل هذه المدرسة الحديثة في العالم الإسلامي مع ما أخذ عليها من هفوات إلا أنها أنصفها وأرجع الفضل لها في هذه الفترة من الركود والجمود الفكري؛ إذ بيّن أن الكتابة في التفسير زمن المصلحين من أمثلة محمد عبده ورشيد رضا والمراغي أنتجت طفرة فكرية ونزعة تجديدية بعدما أكل الركود جهود العلماء ونخر التقليد مناهج التأليف في التفسير، فأحدثت هذه المدرسة هذا اللون التفسيري وهذا المسلك التأويلي القائم بالأساس على إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، تليه صياغة المعاني التي يهدف القرآن لهداية الناس إليها بأسلوب أدبي ذوّاق مستفيد من نواميس سنن الاجتماع وقوانين نظم العمران وعلوم التجربة الحديثة.

### **الفرع الثاني: حكم بتأثير مدرسة الإمام محمد عبده في حركة التفسير<sup>35</sup>.**

يعتبر الدكتور حسين الذهبي المدرسة العقلية الاجتماعية مظهرًا تجديديًا له أثر إيجابي على تعامل المسلمين مع هدايات الوحي الإلهي وصولًا إلى استخراج حلول عاجلة ووصف أدوية ناجعة لمشكلات الأمة والتحديات التي تواجهها، ويعتبر الشيخ الذهبي اللون الأدبي الاجتماعي الذي أنتجته هذه المدرسة مؤثرًا في حركة التأليف في التفسير؛ إذ كان له ما بعده، حيث ألف السيد قطب ظلاله على القرآن متأثرًا بمنتوج هذه المدرسة،

وكتبت بنت الشاطي تفسيرها البياني على أنقاض تركة وموروث الشيخ محمد عبده وفكره في التفسير.

### الفرع الثاني: ذكر محاسن هذه المدرسة<sup>36</sup>:

شكر الشيخ الذهبي صنيع رواد هذه المدرسة على الرغم من المآخذ التي سجلها عليهم، إلا أنه أنصفهم في جملة نقاط نلخصها بأسلوب بعيد عن الاقتباس الحرفي المضرب بالبحوث العلمية:

- نظرت المدرسة للقرآن بعيداً عن التأثير بالمذاهب والمدارس شأن كثير من المفسرين الذين جعلوا القرآن تابعا لنحلهم وأفكارهم.
- أبعدوا الإسرائيليات والقصص الخرافية التي تشوّه التفسير ولم يُثقلوا بما ابْتُلي به كثير من المفسرين الذين أدخلوا الروايات الخرافية المكذوبة فأفسدوا جمال القرآن وخرجوا عن مقصد البيان وكانوا سبباً لإثارة الشبه حول الوحي.
- خلو هذه التفاسير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي لها أثر سيء على تفسير القرآن الكريم.
- لم تخض هذه التفاسير في معاني المبهمات والجملات الواردة في القرآن الكريم ولم تتجرأ على الخوض في المغيبات التي ذكرها الله عزّ وجلّ ابتلاء وامتحاناً للمؤمنين، وهذا بحق مسلك سليم ومنهج قويم في التعاطي مع هذه المادة القرآنية الحساسة التي جانب فيها خلق كثير الصواب ولم يُصيبوا الهدف المراد.

يلخص الشيخ الذهبي هذه المحاسن في خاتمة ذكره لهذه المناقب التي اعترف بها لهذه المدرسة التفسيرية الحديثة فيقول: " ...إن هذه المدرسة، نهجت بالتفسير منهجاً أدبياً اجتماعياً، فكشفت عن بلاغة القرآن وإعجازه، وأوضحت معانيه ومراميه، وأظهرت ما فيه من سنن الكون الأعظم ونظم الاجتماع، وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصة، ومشاكل الأمم عامة، بما أرشد إليه القرآن، من هداية وتعاليم، جمعت بين خيري الدنيا

والآخرة، ووقفت بين القرآن وما أثبتته العلم من نظريات صحيحة، وجلت للناس أن القرآن كتاب الله الخالد، الذي يستطيع أن يساير التطور الزمني والبشري، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ودفعت ما ورد من شبه على القرآن... بمحجج قوية قذفت بها على الباطل فدمغته فإذا هو زاهق... كل هذا بأسلوب شيق جذاب يستهوي القارئ، ويستولي على قلبه، ويُجَبِّب إليه النظر في كتاب الله، ويُرَغِّب في الوقوف على معانيه وأسراره" <sup>37</sup>.

### خاتمة:

بعد الانتهاء من هذه الورقات البحثية والتي تناولنا من خلالها شيئا من مظاهر الانصاف والموضوعية عند الشيخ محمد بن حسين الذهبي من خلال كتابه التفسير والمفسرون، وتبين من خلال هذا البحث الموجز ما يلي:

- على الرغم من الشخصية العلمية الناقدة للشيخ الذهبي؛ إلا أنه كان منصفاً مع مخالفه، موضوعياً مع مفسري الفرق المدروسة قَبْلَ منهم ما يوافق العقل السليم، وأنصفهم بما يتماشى والفكر الفطري والذوق الملائكي.
- ظهر جلياً أدب الشيخ الذهبي عند الخلاف، فلم يتخذ موقفاً سلبياً مع المخالفين بالرغم من المآخذ التي سجلها عليهم، وهو في مكانة اقتداء يُرسي لثقافة التعايش والأدب مع المخالف.
- على الرغم من الهوة الواسعة بين أهل السنة ومختلف الفرق الإسلامية إلا أنه يمكن إيجاد قواسم مشتركة ودوائر محتوية لهذه الهوة من خلال هذه النظرة المنصفة والموضوعية مع تراث علمائهم، فيمكن أن نقف على جوانب إيجابية كثيرة يمكن من خلالها الاستفادة من هذا التراث.
- يمكن الاستفادة من تفاسير الفرق المدمومة بحسب حاجة الباحث؛ إذ يمكن أخذ إشارات السلمي إذا كانت لا تعارض الظاهر من النظم، كما يمكن الاستفادة من مجمع البيان للطبرسي كموسوعة من موسوعات علوم القرآن في القراءات والبيان

- والتعليقات الإعرابية والمناسبات... الخ دون أن ننسى مدرسة الشيخ محمد عبده وما لها من دور تجديدي على حركة التفسير في العصر الحديث .
- رسم الشيخ الذهبي هذا المنهج المنصف والمعتدل من خلال الاعتراف بإحسان المحسن رغم إساءته فهو بهذا يثبت معنى المقولة السائرة (كل يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم).
- كما نوصي بإفراد بحث مستقل حول فكرة هذا البحث حتى نوسع الموضوع ونشكل صورة متكاملة حول الانصاف والموضوعية تجاه تفاسير الفرق الإسلامية، فإذا توسع البحث وكثرت النماذج وحصل الاستقراء توصلنا إلى نتائج أدق وأعمق وأكثر أثرا ونفعا على الساحتين العلمية والفكرية.
- اقترح تناول بحث مستقل حول المآخذ المسجلة حول التفاسير بين الاجحاف والانصاف؛ لأن الساحة الفكرية تعجّ بمغالطات كثيرة حول هذه المسألة التي ما زالت تحتاج تمحيصا علميا وتدقيقا منهجيا حتى نهيط اللثام عن الحقيقة المطلقة فيها.

### الهوامش والاحالات:

- <sup>1</sup> معجم مقاييس . اللغة: أحمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، 432-431/5.
- <sup>2</sup> لسان العرب: ابن منظور، ط:3، دار صادر، بيروت، 1414هـ، 332/9.
- <sup>3</sup> القاموس المحيط: الفيروزآبادي، تح: محمد نعيم العرقسوسي، ط:8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1426هـ - 2005م، 856/1.
- <sup>4</sup> معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عمر، ط:1، عالم الكتب، القاهرة، 1426هـ - 2008م، 2222/3.
- <sup>5</sup> المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دط، دار الدعوة، دت، 588/2.
- <sup>6</sup> ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: 2457/3-2458. بتصرف يسير.
- <sup>7</sup> المرجع نفسه: 2458/3.
- <sup>8</sup> المرجع نفسه: 2458/3.

- <sup>9</sup> المرجع نفسه: 2457/3.
- <sup>10</sup> الموضوعية في دراسة الأديان: إشكالية المفهوم والمصطلح: عبد الله أحمد، مقال في مجلة أفكار الصادرة عن وزارة الثقافة الأردنية، المجلد: 1، العدد: 20، سنة: 2018م، ص238.
- <sup>11</sup> الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط: 4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ-1987م، 781/2.
- <sup>12</sup> معجم مقاييس اللغة: 4/494.
- <sup>13</sup> ينظر: الفرق بين الفرق: عبد القاهر الأسفراييني، ط: 2، دار الآفاق، بيروت، 1977م، ص12-15.
- <sup>14</sup> ينظر: الملل والنحل: محمد عبد الكريم الشهرستاني، دط، مؤسسة الحلبي، دت، ج1/ص13.
- <sup>15</sup> ينظر: التفسير والمفسرون: للذهبي، دط، دار الحديث للطباعة والنشر، القاهرة، 1433هـ - 2012م، 5/1-15.
- <sup>16</sup> من أعلام العصر - كيف عرفت هؤلاء - : محمد رجب البيومي، ط: 1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1417هـ - 1996م، 79.
- <sup>17</sup> ينظر: التفسير والمفسرون: مرجع سابق، ص9-15.
- <sup>18</sup> إمام التفسير واللغة، أبو الحسن محمد بن علي الواحدي، صاحب التفاسير الثلاثة: البسيط والوجيز والوسيط، توفي بنيسابور سنة 468هـ، ينظر طبقات المفسرين: جلال الدين السيوطي، ط: 1، تح: علي محمد عمر، مكتبة وهبه، القاهرة، 1396هـ، 79/1.
- <sup>19</sup> ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، 1: تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، 2003م، 264/10.
- <sup>20</sup> التفسير والمفسرون : 286/2.
- <sup>21</sup> حافظ الإسلام المؤرخ والعالم بالرجال صاحب التصانيف الكثيرة كتاريخ الإسلام وسير أعلام النبلاء، مات سنة 748هـ، ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي الشوكاني، دط، دار المعرفة، بيروت، دت، 110/2-111.
- <sup>22</sup> ينظر: تاريخ الإسلام: شمس الدين الذهبي، 208/9.
- <sup>23</sup> التفسير والمفسرون : 286/2.
- <sup>24</sup> معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر: عادل نويهض، ط: 3، تق: حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1409هـ - 1988م، 264/1.
- <sup>25</sup> ينظر: طبقات المفسرين: جلال الدين السيوطي، 98/1.
- <sup>26</sup> التفسير والمفسرون : 286/2.

- 27 طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين السبكي، ط:2، تح: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلوة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1413هـ، 4/145.
- 28 الفضل بن الحسن الطبرسي لغوي ومفسر من أعلام الشيعة الإمامية، من مصنفاته (مجمع البيان) وهو تفسير عمدة عند الشيعة، وكانت وفاته سنة 548هـ، ينظر: معجم المفسرين: عادل نويهض، 421-420/1.
- 29 ينظر: التفسير والمفسرون: 78-77/2.
- 30 ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: الفضل بن الحسن الطبرسي، ط:1، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، بيروت، 1426هـ - 2005م، 17-5/1.
- 31 التفسير والمفسرون: 78/2.
- 32 المولى عبد اللطيف الكازراني النجفي، مفسر شيعي صاحب تفسير (مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار) توفي سنة 1138هـ، ينظر: التفسير والمفسرون: 35/2.
- 33 المرجع نفسه: 107-106/2.
- 34 المرجع نفسه: 401/2، بتصريف يسير.
- 35 المرجع نفسه: 401/2، بتصريف يسير.
- 36 المرجع نفسه: 401/2، بتصريف يسير.
- 37 المرجع نفسه: 402/2.